تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ كتاب الاربعين في أصول الدين ﴾

هذا الكتاب قسم من كتاب جواهر القرآن لحجة الاسلام الغزالي وقد اجاز أن يكتب مستقلا كما قال في كشف الظنون فكتب وطبع في هذه الايام الشيخ محيي الدين صبري الكردي على قطع تقطيع كتاب الاسلام والنصرانية فكانت صفحاته زهاء ٣٦٠ وبيع النسخة منه بخمسة قروش

واغا سماه الاربعين لانه جعل أربعين أصلا عشرة في العقائد و١٠ في الاعمال الظاهرة وهي العبادات وكسب الحلال وآداب الصحبة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واتباع السنة و١٠ في تزكية النفس من الاخلاق المذمومة و١٠ في تحليتها بالاخلاق المحمودة . فهو ملخص من كتابه الاحياء وفيه من التحقيق لبعض المسائل ما لا نظير له في الاحياء وهاك نموذجا منه:

(تحقيق مسألة القضاء والقدر)

« وفيه رمي الساعة الدقاقة في زمنه »

(قال) والقضاء هو الوضع الكلي للاسباب الكلية الدائمة والقدر هو توجيه الاسباب الكلية بحركاتها المقدرة المنسوبة الى مسبباتها المقدرة بقدر معلوم لا يزيد ولا ينقص — ولذلك لا يخرج شيء عن قضائه وقدره .

ولا تفهم ذلك إلا بمثال ولذلك شاهدت صندوق الساعات التي بها تعرف أوقات الصلوات وان لم تشاهده فجملة ذلك انه لا بد فيه من آلة على شكل اسطوانة تحوي مقدارا من الماء معلوما وآلة أخرى مجوفة موضوعة فيها فوق الماء وخيط مشدود أسفل طرفيه في هذه الآلة المجوفة . وطرفه الآخر في أسفل ظرف صغير

موضوع فوق الآلة المجوفة وفيه كرة وتحته طاس بحيث لو سقطت الكرة وقعت في الطاس وسمع طنينها ثم ثقب أسفل الآلة الاسطوانية ثقبا بقدر معلوم ينزل الماء منه قليلا قليلا . فاذا انخفض الماء انخفضت الآلة المجوفة الموضوعة على وجه الماء فامتد الخيط المشدود بها فحرك الطرف الذي فيه الكرة تحريكا يقربه من الانحدار الى أن ينعكس فتدحرج منه الكرة وتقع في الطاس وتطن وعند انقضاء كل ساعة تقع واحدة . وانما يتقدر الفصل بين الوقعتين بتقدير خروج الماء وانخفاضه وذلك بتقدير سعة الثقب الذي يخرج منه الماء ويعرف ذلك بطريق الحساب . فيكون نزول الماء بمقدار مقدر معلوم بسبب تقدير سعة الثقبة بقدر معلوم . ويكون أعلى الماء بذلك المقدار به ويتقدر ، وانخفاض الآلة المجوفة وانجرار الخيط بها المشدود . وتولد الحركة في الظرف الذي فيه الكرة . وكل ذلك يتقدر بتقدر سببه لا يزيد ولا ينقص ويمكن أن يحصل وقوع الكرة في الطاس سببا لحركة أخرى . وتكون الحركة الاخرى سببا لحركة ثالثة . وهكذا الى درجات كثيرة حتى يتولد منها حركات عجيبة مقدرة بمقادير محدودة وسببها الاول نزول الماء بقدر معلوم .

فاذا تصورت هذه الصورة فاعلم ان واضعها يحتاج الى ثلاثة أمور

أولها التدبير وهو الحكم بأنه ما الذي ينبغي أن يكون من الآلات والاسباب والحركات حتى يؤدي الى حصول ما ينبغي أن يحصل وذلك هو الحكم

والثاني ايجاد هذه الآلات التي هي الاصول وهي الآلة الاسطوانية تحوي الماء . والآلة المجوفة توضع على وجه الماء . والخيط المشدود بها والظرف الذي فيه الكرة والطاس الذي تقع فيه الكرة . وذلك هو القضاء

الثالث نصب سبب يوجب حركة مقدرة محدودة وهو ثقب اسفل الآلة الاسطوانية ثقبة مقدرة السعة ليحدث بنزول الماء منها حركة في الماء تؤدي الى حركة وجه الماء بنزوله ، ثم الى حركة الآلة المجوفة الموضوعة على وجه الماء بنزوله ، ثم الى حركة الخيط ثم الى حركة الظرف الذي فيه الكرة ، ثم الى حركة الكرة ، ثم الى الصدمة بالطاس اذا وقع ، ثم الى الطنين الحاصل منها ، ثم الى تنبيه الحاضرين

واستماعهم ، ثم الى حركاتهم الى الاشتغال بالصلوات والاعمال عند معرفتهم بانقضاء الساعة ، وكل ذلك بقدر معلوم ومقدار مقدر بسبب تقدر جميعها بقدر الحركة الأولى — وهي حركة الماء ،

فاذا فهمت ان هذه الآلات أصول لا بد منها للحركة ، وان الحركة لا بد من تقديرها بقدر ما يتولد منها فكذلك فافهم حصول الحوادث المقدرة التي لا يتقدم منها شيء ولا يتأخر إذا جاء أجلها أي حضر سببها . وكل ذلك بمقدار المعلوم ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا .

فالسموات والافلاك والكواكب والارض والبحر والهواء وهذه الاجسام العظام في العالم كتلك الآلات ، والسبب المحرك للافلاك والكواكب والشمس والقمر بحساب معلوم كتلك القبة الموجبة لنزول الماء بقدر معلوم ، وانقضاء حركة الشمس والقمر والكواكب الى حصول الحوادث في الارض كانقضاء حركة الماء الى حصول تلك الحركات المفضية الى سقوط الكرة المعرفة لانقضاء الساعة ، ومثال تداعي حركات السماء الى تغيير الارض هو ان الشمس بحركتها اذا بلغت الى المشرق فاستضاء العالم تيسر على العالم الابصار ، فتيسر عليهم الانتشار في الاشغال ، فاذا بلغت المغرب تعذر عليهم ذلك فيرجعون الى المساكن ، واذا قربت من وسط السماء وسامتت رؤوس أهل الاقاليم حمي الهواء واشتد القيظ وحصل نضج الفواكه ، واذا بعدت حصل الشتاء واشتد البرد ، واذا توسطت حصل الاعتدال فظهر الربيع وانبتت الارض وظهرت الخضرة . وقس بهذه المشهورات التي نعرفها الغرائب التي لا نعرفها

فاختلاف هذه الفصول كلها مقدرة بقدر معلوم لانها منوطة بحركات الشمس والقمر و (الشمس والقمر بحسبان) أي حركتها بحساب معلوم — فهذا هو التقدير ، ووضع الاسباب الكلية هو القضاء والتدبير الاول الذي هو كلمح البصر هو الحكم ، وكما أن حركة الآلة والخيط والكرة ليست خارجة عن مشيئة واضع الآلة . بل ذلك هو الذي أراد بوضع الآلة — فكذلك كل ما يحدث في العالم من الحوادث شرها وخيرها نفعها وضرها غير خارج عن مشيئة الله تعالى ، بل ذلك مراد الله

تعالى ولا وجه دبر أسبابه ، وتفهيم الامور الالهية بالامثلة العرفية عسير ، ولكن المقصود من الامثلة التنبيه ، فدع المثال وتنبه للغرض ، واحذر من التمثيل والتشبيه اه

(المنار) يرى القارئ ان هذا التحقيق لمسألة القدر هو عين ما ذهبنا اليه وحققناه في المنار غير مرة ولم نكن قد اطلعنا عليه لاحد ولكننا رأيناه صريحا من آيات القرآن الكثيرة عند تفهمها وتدبرها ومنه يعلم ان الجبور يفهمون القدر الآن بضد معناه فحمد الله أن وفق أبا حامد وهداه اليه من قبل وآخر ما كتبناه في ذلك نشرناه في المجلد الثاني عشر (راجع ص ١٨٩ ـ ٢٠٠ منه)

وما كتبه في الساعة الدقاقة التي كانت مستعملة الى زمنه مما كان يتوق الناس الى معرفته بهذا التفصيل وقد ارتاب الشيخ احمد فارس في تسمية هذه الآلة « ساعة » ان يكون تسميته عربية قال في ص ٢١٨ من كتابه (كشف المخبا عن فنون أوربا) « قال مؤلف كتاب (المخترعات العجيبة) ذكر المؤرخون من الفرنسيس ان أول ساعة عرفت في بلادهم كانت الساعة التي أهداها الخليفة هارون الرشيد الى شارلمان ملك فرنسة وذلك في سنة ٨٠٧ م وكانت بدعا في ذلك العصر حتى انها أورثت رجال الديوان حيرة وذهولا ، والظاهر انها كانت من الآلات التي يديرها الماء المتحدر ، وكان لها اثنى عشر بابا صغيرا تنقسم بها الساعات فكلما مضت ساعة انفتح باب وخرج منه كرات من نحاس صغيرة تقع على جرس فيطن بعدد الساعات وتبقى الابواب مفتوحة وحينئذ تخرج صورة اثني عشر فارسا على خيل وتدور على صفحة الساعة . وقلت) بودي لو أعرف اسم الساعة في ذلك العصر فاني انكر هذه اللفظة ، وأهل الغرب يقولون « منكالة » وهي انكر اه

وقد عرفت من كلام الغزالي انهم استعملوا لفظ الساعة وفي الكتاب فوائد كثيرة ومعظمه من الاحياء له وفيه من التساهل في ايراد ما لا يصح من الاحاديث مثل ما في الاحياء ، وكان يرى ان العمل بكل ما ورد من الاحاديث أولى من تركه

﴿ ميزان العمل ﴾

للشيخ ابي حامد الغزالي أيضا وهو مختصر في علم النفس والاخلاق على طريق

الفلاسفة والصوفية والمتكلمين جميعا وهو مختصر لطيف حسن الترتيب والتمثيل وفيه فوائد كثيرة وتحقيقات مفيدة وانفع مافيه خاتمته وهي في اختلاف الناس في المذاهب وهذا نصها :

(بيان معنى المذهب واختلاف الناس فيه)

لعلك تقول كلامك في هذا الكتاب اقسم الى مايطابق مذهب الصوفية والى ما يطابق مذهب الاشعرية وبعض المتكلمين ولا يفهم الكلام الا على مذهب واحد فما الحق من هذه المذاهب ؟ فان كان الكل حقا فكيف يتصور هذا ؟ وان كان بعضه حقا فما ذلك البعض ؟

فيقال لك اذا عرفت حقيقة المذهب لا تشكك قط اذ الناس فيه فريقان ، فريق يقول المذهب اسم مشترك لثلاث مراتب (احداها) مايتعصب له في المباهاة والمناظرات (والاخرى) مايبادر به في التعليمات والارشادات (والثالثة) مايعتقده الانسان في نفسه مما انكشف له من النظريات . ولكل كامل ثلاثة مذاهب بهذا الاعتبار فاما المذهب بالاعتبار الاول فهو نمط الآباء والاجداد ومذهب المعلم ومذهب أهل البلد الذي فيه النشوء — وذلك يختلف بالبلاد والاقطار ويختلف بالمعلمين . فمن ولد في بلد المعتزلة أو الاشعرية أو الشفعوية أو الحنفية انغرس في نفسه منذ صباه التعصب له والذب دونه والذم لما سواه . فيقال هو أشعري المذهب أو معتزلي أو شفعوي أو حنفي . ومعناه انه يتعصب أي ينصر عصابة المتظاهرين بالموالاة ويجري ذلك مجرى تناصر القبيلة بعضهم لبعض .

ومبدأ هذا التعصب حرص جماعة على طلب الرياسة باستتباع العوام ولا تنبعث دواعي العوام إلا بجامع يجمل على التظاهر فجعلت المذاهب في تفصيل الاديان جامعا فانقسم الناس فرقا وتحركت غوائل الحسد والمنافسة فاشتد تعصبهم واستحكم به تناصرهم وفي بعض البلاد لما اتحد المذهب وعجز طلاب الرياسة عن الاستتباع وضعوا أمورا وخيلوا وجوب المخالفة فيها والتعصب لها كالعلم الاسود والعلم الاحمر فقال قوم الحق هو الاسود وقال آخرون لا بل الاحمر وانتظم مقصود الرؤساء في استتباع العوام بذلك القدر من المخالفة وظن العوام ان ذلك منهم وعرف الرؤساء الواضعون غرضهم في الوضع

(المذهب الثاني) ما يتعلق في الارشاد والتعليم على من جاءه مستفيدا مسترشدا — وهذا لا يتعين على وجه واحد بل يختلف بحسب المسترشد فيناظر كل مسترشد بما يحتمله فهمه فان وقع له مسترشد تركي أو هندي أو رجل جلف بليد الطبع وعلم انه لو ذكر له أن الله تعالى ليس ذاته في مكان وانه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا متصلا بالعالم ولا منفصلا عنه لم يلبث أن ينكر وجود الله تعالى ويكذب به فينبغي أن يقرر عنده أن الله تعالى (مستو) على العرش وانه يرضيه عبادة خلقه ويفرح بها فيثيبهم ويدخلهم الجنة عرضا وجزاء . وان احتمل أن يذكر له ما هو الحق المبين يكشف له فالمذهب بهذا الاعتبار يتغير ويختلف ويكون مع كل واحد على حسب ما يحتمله فهمه

(المذهب الثالث) ما يعتقده الرجل سرا بينه وبين الله عز وجل لا يطلع عليه غير الله تعالى ولا يذكره الامم من هو شريكه في الاطلاع على ما اطلع أو بلغ رتبة (من) يقبل الاطلاع عليه ويفهمه — وذلك بأن يكون المسترشد ذكيا ولم يكن قد رسخ في نفسه اعتقاد موروث نشأ عليه وعلى التعصب له ولم يكن قد انصبغ به قلبه انصباغا لا يمكن محوه منه ويكون (* مثاله كمكاغد كتب عليه ما غاص فيه ولم يمكن إزالته الا بحرق الكاغد وخرقه — فهذا رجل فسد مزاجه ويئس من صلاحه فان كل ما يذكر له على خلاف ما سمعه لا يقنعه بل يحرص على أن لا يقنع بما يذكر له ويحتال في دفعه . ولو أصغى غاية الاصغاء وانصرفت همته الى الفهم لكان يشك في فهمه فكيف اذا كان غرضه أن يدفعه ولا يفهمه ؟ — فالسبيل مع مثل هذا أن يسكت عنه ويترك على ما هو عليه فليس هو بأول أعمى هلك بضلالته — فهذا فريق من الناس .

وأما الفريق الثاني وهم الاكثرون فيقولون المذهب واحد هو المعتقد وهو الذي ينطق به تعليما وارشادا مع كل آدمي كيفما اختلفت حاله وهو الذي يتعصب له وهو إما مذهب الاشعري أو المعتزلي أو الكرامي أو أي مذهب من المذاهب والاولون يوافقون هؤلاء على انهم لو سئلوا عن المذهب أنه واحد أو ثلاثة لم يجز أن يذكر

(*) المنار : الظاهر انها فيكون بفتح النون

أنه ثلاثة بل يجب أن يقال أنه واحد . وهذا يبطل تمسك بالسؤال عن المذهب ان كنت عاقلا فان الناس متفقون على التعلق بأن المذهب واحد . ثم يتفقون على التعصب لمذهب أبيهم أو معلمهم أو أهل بلدهم ولو ذكر ذاكر مذهبه فما منعتك فيه ومذهب غيره يخالفه وليس مع واحد منهم معجزة يترجح بها جانبه ؟

فجانب الالتفات الى المذاهب واطلب الحق بطريق التفكر لتكون صاحب مذهب ولا تكن في صورة أعمى قلد قائدا يرشدك الى طريق وسوالبك ألف مثل قائدك ينادون عليك بأنه أهلكك وأضلك عن سواء السبيل . وستعلم في عاقبة أمرك ظلم قائدك فلا خلاص إلا في الاستقلال

خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به في طالع الشمس ما يغنيك عن زحل

ولولم يكن في بحاري هذه الكلمات الا ما يشكك في اعتقادك الموروث لتتعذب للطلب فاعلم انك به فقط اذ الشكوك هي الموصلة الى الحق فمن لم يشك لم ينظر ومن لم ينظر لم يبصر ومن لم يبصر بقي في العمى والضلال نعوذ بالله من ذلك وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم اه

(المنار) ليعتبر بهذا من ترتعد فرائصهم من ذكر الدعوة الى الكتاب والسنة والنهي عن التقليد الاعمى الذي يصرف صاحبه عن الاهتداء بهما وليعلموا انه ما نبغ عالم في الاسلام الا وكان منتهى شوطه وجوب الرجوع الى الكتاب والسنة والاهتداء بهما استقلالا وللغزالي في ذلك كلام كثير بين تصريح وتلويح داري فيه دولة المتعصبين وناهيك بما تقدم لنا نقله عنه من كتابه القسطاس المستقيم

وثمن هذا الكتاب أربعة قروش صحيحة

* * *

﴿ الرسالة اللدنية ورسالة مالا بد منه للمريد ﴾

الاولى لابي حامد الغزالي يتكلم فيها عن العلم اللدني والالهام والوحي والنفس والروح والقلب والثانية للشيخ محيي الدين بن عربي في آداب سالك طريق التصوف وقد طبعهما الشيخ محيي الدين الكردي معا وثمنهما قرشان صحيحان